الهجرة إلى الحبشة

بَلَغَ الأذى بالمسلمين مَبْلغاً كبيراً ، وكانتْ الأيامُ تَمرُّ بطيئةً عصيبةً ، والنبىُ يتألمُ من أجلهم أشدَّ الألم ، ويدعوهم إلي الصبر والجَلدَ حتى يأتى من الله الفَرَج . وكان يروى لهم قَصصاً من سير المؤمنين الأوائل فى الأمم السابقة ، وما تحمَّلوه فى سبيل دينهم ، وصَبرهم علي الهَوان والعذاب والأذى . ويقول لهم : إن رحمة الله قريبٌ من المحسنين ومن الصابرين .

وكان المُسلمون يُصغون إلي هذا القَصص وإلي كلام النبى فيشعرون بحلاوة الإيمان ، وَيهُون فى نفوسهم ما يفعله بهم المشركون .

ومرتْ الأيأم ، ورأى النبى (ﷺ) ما عليه أصحابة من عذاب ونكال ، وما يُلاقونه من المشركين من شدة وعَنَت ، فمنهم من سقط شهيداً ، ومنهم من كان ينتظر من الله الرحمة والفرج .

كان النبى يفكر فى وسيلة للخروج من هذه المعاناة . . وجاءه ذات يوم نَفَرٌ من المسلمين المستضعفين وشكوا إليه سُوء الأحوال . فأشار عليهم بأن يتفرقوا في الأرض .

قالوا : يا نبى الله . . أين نذهب ؟

قال : « لو خَرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحدٌ، وهى أرْضُ صِدْق ، حتي يجعلَ الله لكم فَرَجاً مما أنتم فيه » .

وأسرعَ عُثمان بن عفان ـ وقد سمع نصيحة النبى ـ إلى زوجته «رُقيَّة» رضي الله عنها وأخبرها بما قاله النبى من السفر إلي الحبشة .

وأعدَّت رقية نفسها للسفر ، وأعدَّ بعض المسلمين أنفسهم لهذه الرحلة ، حتى كان ذات ليلة . . . .

خرج أحد عشر رجلاً وأربع نساء من ديارهم يقودهم عثمان بن مَظْعون ، وتسللوا لِوَاذاً فى غفلةٍ من قريش ، وساروا في الصحراء ناحية البحر .

وهناك كانت تَرْسُو سفينتان استعداداً للرحيل ، وتحملان سلعاً وبضائع ، واستأجرها المسلمون، وركبوا . وانطلقتْ بهم السفينَتان إلي أرض الحبشة .

وعَلمتْ قريش فى الصباح بفرار بعض المسلمين ، فخرجوا فى إثرهم وَلكن بعد فوات الأوان ، فقد كانت السفينتان تَمْخُران العُباب، وتسيران فى موجَ كالجبال .

وصل المسلمون المهاجرون إلي أرض الحبشة ، ونزلوا وَفداً على النَجاشى ملك الحبشة ، فأكرمَ وفَادتهم وأحسنَ إليهم ، وعاشوا هناك في أمان وستْر ، يعملون كماَ يعملُ الناس ويأكلون مما يَطْعَمُون ، ويُصلون للهَ .

كانت أرض الحبشة أرضاً مُباركة . . ماءٌ رقَرْاق ، وخُضْرةٌ ممتدةٌ ، وطَبيعةٌ خلاَّبةٌ تُذكرُ المؤمنين بجنات النَّعيم ، وكان الناسُ فى الحبشة بسطاء طيبين يعيشون فى الأحْراشَ علي الصيد والرَّعى وجَنْى ثمار

الفاكهة ، وكانوا يدينون بالنصرانية ويُقدسون المسيحَ وأمَّه « مريم » ولكن كان حظهم من العلم قليلاً .

عاشَ المسلمون المهاجرون فى عُزلة عما يجرى فى مكة ، وبعد ثلاثة أشهر تَاقتْ نفوسهم للنبى ، ولإخوانهم وأهليهم فرأوا أن يرسلوا بعضَهم إلي مكة ليخبروا النبى (ﷺ) بما هم فيه من طيْب العَيْش وحُسْن الجوار، ويعرضوا علي إخوانهم المُعذَّبين فى قُرَيشَ بأن يهاجروا إلي الحَبشة .

وعندما وصلَ الوفدُ إلى مكة وجدوا أن الأحوالَ ازدادتْ سُوءاً، وأن الإسلام ينتشرُ على أرض بُذرتْ بالشوك والجمَرْ ، وأشار النبى على أصحابه بالهجرة إلي الحبشة مرة أخرى حتَي يأذنَ الله بالفَرَج .

وأدركتْ قريش ذلك ، وفتحت أعينها واستعدت لتُحْبط هذه المحاولة . وتَنَادى المسلمون للرحيل فى جُنْح الظلام ، وأفلحوا فى الإفلات من أسْر القوم. كانوا ثلاثة وثمانون رجلاً وتسعة عشر امرأة وبعض الصِّبية . .

ويسَّر الله لهم الرحيل في صباح يوم جميل مُشْرق ، ووصلوا إلي أرض الحبشة فى أمان الله . والتقوا بإخوانهم المسلمين هناك ، وعاشوا فى جوار الملك النجاشى فى سَعَةٍ وأمنٍ . . يصلون لله ، ويتلون آيات القَرآن .

وعلمت قريش أن المسلمين المهاجرين يعيشون فى الحبشة فى أمان، وأن النجاشى يُغدقُ عليهم ويرعاهم ، فتشاوروا فى الأمر،

ورأو أن يرسلوا إلى النجاشى هديةً عظيمةً وأن يطلبوا منه إعادة هؤلاء المارقين من دينهم ودين آبائهم إلي بلادهم .

وبعثوا عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبى ربيعة يحملان إلي النجاشى وإلى بطارقته وأصحابه هدايا كثيرة . واستقبلهم ملك الحبشة استقبالا طيباً ، وقَبلَ هداياهم وجلسوا يتحدثون .

فقال عمرو بن العاَص : أيها الملك ، إنه قد أتى إلى بلدك منا غلْمانٌ سُفَهاء مارقون فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا فى دينك . وَجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد أرْسَلَنا إليك أشرافُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتَرُدَّهم إليهم ، فهم أعْلَمُ بهم، وأعلم بما عابوا عليهم .

استمع النجاشى إليهما ووعدهما بالنظر في الأمر .

والتقى عمرو وعبد الله سفيرا قريش بأصحاب النجاشى وبطارقته وأغدقوا عليهم بالهدايا ، وطلبوا منهم المساعدة .

فوعدهما أصحاب النجاشى بالمساعدة على ما يريدان .

وعندما عرض البطارقة علي الملك تسليم المسلمين إلي الرجلين (ﷺ)غَضبَ النجاشى .

وقالَ : لا والله . . لا أسلِّم قوماً استجاروا بى ، ونزلوا بلادى حتى أسمع كلامهم . وأرْسل إلى المسلمين فجاءوا .

فقال : ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به فى دينى ولا دين أحد من هذه الملل ؟

فقام جعفرُ بن أبي طالب وقال : أيها الملك الكريم . كنُا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ونأتى الفَواحش ، ونقطع الأرحام ونسىء الجوَار ويأكلُ القَوىُّ منا الضَّعيف . فكنا على ذلك حتى بعثَ الله إلينا رَسولاً منا نعرفُ نسَبَه وصدْقَهُ وأمانته وعفافه . فدعانا إلي الله لنوحده ونعبده ونَخلعْ ما كنَا نعبدُ نحن وآباؤنا من دُونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصْدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرَّحم وحُسْن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفَواحش وقَوْل الزُّور وأكْل مال اليتيم ، وقَذْف المحُصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحدَه ولا نُشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . . وعدَّد عليه أمور الإسلام .

فصدَّقنا به ، واتَّبعناهُ علي ما جاء به من الله . ، فعبدنا الله وحده لا نُشرك به شيئاً وحرَّمنا ما حُرِّم علينا ، وأحْللنا ما أحل لنا ، فَعَدا علينا قومُنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليرُدُّونا إلي عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن نَسْتحلَّ ما كنا نَسْتحلُّ من الخبائث ، فلما قَهرونا وظلمونا وضيَّقُوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلي بلادك واخترناك على من سِواك ورغبنا في جِوارك ورَجَونا ألا نُظلم عندك» .

فقال النجاشى : وهل معك مما جاء به عن الله شىء ؟

قال جعفر : نعم . وتلا عليه سورة مريم من أولها إلي قوله ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ

آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ .

فلما سَمع الملك هذا القول وسَمعته الأساقفة تأثَّروا وبكُوا .

فقال الأساقفة : هذه كلمات تَصْدُر من النبع الذى صَدَرتْ منه كلماتُ سيدنا يَسُوع المسيح .

وقال النجاشى : إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرجُ من مشْكاة واحدة ثم التفت إلي عمرو بن العاص وصاحبه وقال : انطلقا . والله لا أسلمهم إليكما .

وأشار إلي المسلمين أن ينصرفوا راشدين .

وخرج عمرو بن العاص وصاحبه مُطْرقَين ، ويشعران بخزى وحَسْرة .

كان عَمْرو داهيةً ماكراً ، لا تعرف نفسه الهزيمة ولا يرضى بالهون ، وبات ليلته مُغْتاظاً حائراً ، يفكر فى وسيلة أخرى للكَيْد من المسلمين المهاجرين ، حتى اهتدى إلي فكرة ماكرة .

وفى الغد دخل على الملك وحيَّاه ساجداً (علي عادة القوم) ثم أسرَّ إليه فى أُذنه قائلاً : إن هؤلاء يقولون فى عيسى ابن مريم قولاً عظيماً يُخالف دينك .

أوما النجاشى برأسه فى دَهْشة ، ثم أرْسل فى طلب المسلمين ، وعندما دخلوا على الملك سألهم : ما تقولون فى عيسى ابن مريم ؟

قال جعفر بن أبى طالب ـ وكان مُتحدثاً بارعاً فذاً :

« نقول فيه الذى جاء به نبينا ، يقول هو عبد الله ورسوله ورُوحهُ وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البَتُول »

وهنا أخذ النجاشى عُوداً ـ وقد سرَّهُ هذا الكلام ـ وخطَّ به على الأرض خطاً وقال : ليس بين دينكم ودِيننا أكثر من هذا الخط .

وقال لجعفر : اذهبوا فأنتم فى بلادى آمنون .

ثم التفت إلى عمرو وصاحبه وحَدَجهما بنظرة هائلة ، وردَّ عليهما الهدايا التى أرسلتها إليه قريش ، وعاد السفيران (عمرو وصاحبه) إلى مكة يَجران أذيال الخزْى والخَيْبة .

وعاش المسلمون فى أرض الحبَشة سالمين آمنين ، يَحُوطهم الملك النجاشى برعايته ، ويشاركون أهل الحبشة حياتهم . . فيفرحون لفرحهم ويحزنون لحزنهم ، ويبادلونهم المحبة والمودَّةَ والوفاء .

وأبدى المسلمون من روح الإسلام وسماحته ما أذْهل الأحباشَ ، وزَادتْ بينهم أواصرُ الإخاء .

وبعد مُدَّة شعرتْ « رُقية » بنت رسول الله (ﷺ) ، وزوجة عثمان ابن عفان بالحنين إلي أبيها (النبى الكريم) وإلى أهلها وإلى دارها فى مكة ، وزادها الحنين وَهْناً علي وَهْنٍ حتى اشتدَّ عليها المرض ، فرجع عثمان بن عفان بزوجته إلي مكة مع نفرٍ من المسلمين وبقى المسلمون هناك مدة حتى أرسل إليهم النبى عندما استقر الإسلام فى المدينة المنورة ، وأرسل إلى النجاشى يشكره ويدعوه إلي الإسلام .

(دخل الملك النجاشى فى الإسلام ، ومات مُسْلماً ، وصلى عليه

النبى (ﷺ) والمسلمون معه صلاة الغائب) .

كان النبىُ لا يزال يَتعرض لإيذاء قريش ، ويتحملُ فى سبيل الدعوة الأذى بثبات وصبر . وذات يوم تعرَّضَ أبو جهل للنبى (ﷺ) وسَبَّهُ بفاحش القوَل وبذىء الكلام والناس تسمع وترى . . وتركه النبى ومضى ولم يرد عليه .

في هذا اليوم كان حمزةُ بن عبد المطلب (عم النبى) خارج الدار فى رحلة صيد ، حتى إذا عاد أخبرته الجارية بما حدث لمحمد ابن أخيه مع أبى جهل . . وعيَّرتهُ بذلك . فَغضبَ حمزةُ غضباً شديداً وأخذته الحميَّةُ وانطلقَ إلي أبى جهل كاللَّيث الهائج وكان جالساً فى الكعبة وسط أصحابه .

وعندما لمحهُ حمزة رفع قوسه وصوَّبه إلى أبى جهل ورماهُ بسهم فسالت دماؤه وصاح فيه : كيف تسبُّ محمداً وأنا على دينه؟

فلم يجرؤ أبو جهل أن يردَّ على حمزة فقام رجال من بنى مخزوم إلي حمزة لنصرة أبى جهل ، فأشار إليهم : دَعُوه . . فإنى سببتُ ابن أخيه سباً فاحشاً . وعاد حمزة من ساعته إلي النبى وهو فى ثورة غضبه ليُعلن أسَفه عما حدث له ، ويعلن بين يديه إسلامه ، واستعداده لنُصرة الدين .

كان مُصْعبُ بن عُمَير فتى ثريا مُتْرفاً وكان يرتدى أحسن الثياب ،

ويتعطر بأفخر العطور وعندما سمع عن الدين الجديد وعن الرسول، ذهب إلي دار الأرقم بن أبى الأرقم ، وأخذ يُصغى إلى القرآن وهو يُتلي ، وانشرحَ صدْرُه ، وأعلن إسلامه بين يدى رسول الله (ﷺ) .

وعندما علمتْ أمه بذلك ، راحت تطرده ، وتمنعُ عنه الطعام والشَراب حُزناً وعناداً . لكنه كان يَرْفق بها ، ويُشْفق عليها ويدعو الله لها بالهدى وهى لَا تلين . وأخيراً قال لها : يا أمي . . تأكلى أو لا تأكلى فأنا آمنت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ولن أعود إلى الكُفر أبداً . .

كان عمر بن الخطاب شديد العداوة للنبى وأصحابه ، فقد رأى الدين الجديد يُفرِّق بين المَرْء وزَوْجه وبين الأخ وأخيه مما حَدا ببعضهم إلي الهجرة والسفر فراراً من الإيلام والأذى .

وكان عمر بن الخطاب شديد البأس ، سريعَ الغضب ، وكان قوياً فَتيًّاً عملاقاً تَهابُه الناس فى مكة ، أثاره وأغضبه حال الناس فى قريش، وعَزَم علي وضع حدٍّ لهذا البلاء ، وذلك بقتل محمد (ﷺ) حتى يريح الناس منه ومن دعوته .

وخرج من داره مُسْرعاً حاملاً سيفه ، ومتوجهاً إلى دار النبى يريد قتله ، وفي الطريق استوقفه رجل وقال له :

ـ إلي أين تريد يا عمر ؟

ـ أريد محمداً ، هذا الصابئ الذى فرَّقَ أمر قريش وسبَّ آلهتها فأقتله .

قال الرجل : والله لقد غرَّتك نفسك يا عُمر . . أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمداً ، أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم .

دهش عمر وقال : أى أهل بيتى ؟

ـ أختك فاطمة ، وابن عمك سعيد زوجها ، فقد والله أسلما وتَبعا محمداً على دينه .

ورجع عمر أشدُّ غَضباً إلي أخته وزوجها ، وكان عندهما « خَبَّابُ ابن الأرت ، معه صحيفة مكتوبٌ فيها سورة (طه) يقرؤها عليهما ، فلما سمعوا صوت عمر ارتعبوا ، فنهضَ خباب واختبأ وأخفت فاطمة الصحيفة وراءها .

وكان عمر قد سمع ـ عندما اقترب من البيت ـ قراءة القرآن ولم يَعِ شيئاً .

وعندما دخل عليهما قال : ما هذه الهينمة التى سمعتُ ؟ قالت أخته وزوجها (وهما فى شدة الخوف والوجل) : أسَمعتَ شيئاً ؟

قال : بلى . . « لقد أخبرت أنكما تبعتما محمَداً على دينه ، وهجم على زوج أخته (سعيد) وبطش به ، فقامت فاطمة لتدفع عنه فلطمها وشجَّ رأسها حتى سال دمها على وجهها .

عندئذ قالت أخته بعناد وتحدٍ : نعم . قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك .

عندما رأى عمرُ الدَّمَ يسيلُ على وجه أخته أخذتُه الدَّهشةُ والشفقةُ معاً ، وتراجع إلي الوراء ، وقال لأخته : أعطنى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرؤنها . أنظر ما هذا الذى جاء به محمد؟

قالت أخته : إنا نخشاك عليها .

قال : لا تخافى . . . واللاَّتَ والعُزى لأردنَّها إليك إذا قرأتها ، عند ذلك طمعت فاطمة في إسلا مه فقالت :

« يا أخى إنك نَجسٌ علي شرْكك ، وإن هذا القرآن لا يمسه إلا المطهرون . فدخل عَمر واغتسَل فأعطته الصحيفة وقرأ فيها سورة طه ، حتى إذا انتهى إلي قوله تعالى ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ﴾ .

فقال : ما أحسنَ هذا الكلام وأكرمه !

فلما سمع خَبَّاب قولَ عمر خرج مسروراً وقال وهو فى غمرة الفرح :

« والله يا عمر . . إنى لأرجو أن يكون الله قد خَصَّكَ بدعوة نبيه (ﷺ) . . فإنى سمعته يقول : « اللهم أيِّد الإسلام بأحد العُمَرين . . . بأبى الحكم بن هشام ، أو بعمر بن الخطاب ، فالله . الله يا عمر » .

قال عمر : دُلنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم .

ـ هو فى دار الأرقم بن أبى الأرقم ـ عند الصفا ، ومعه نَفَرٌ من أصحابه .

ومضى عمر بسيفه إلي دار الأرقم فَقَرعَ الباب ، فقام رَجلٌ من أصحاب النبى ونظر من خصاص الباب فرآه حاملاً سيفه ، فرجعَ مذعوراً إلى النبى وهو يقول : هذا عمر بن الخطاب مُتوشِّحاً سيفه ، فقال حمزة بن عبد المطلب ـ وكان جالساً مع النبى وصحابته : ائذن له ، فإن كان يريد خيراً بذلنا له ، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه .

نظر الصحابى إلي رسول الله ينتظر ردَّه فقال النبى : « ائذن له » .

فلما دخل عمر نهض إليه الرسول وأخذ بمجامع ثوبه وجَذَبه جذبةً شديدةً وهو يقول :

ـ ما جاء بك يا ابن الخطاب . أما آن لك أن تُؤْمن . فوالله ما أري أن تنتهى حتى يُنزل الله بك قارعة . .

فقال عمر : يا رسول الله . . جئتُ لأومن بالله ورسوله ، وبما جاء من عند الله . فكبَّر الرسول تكبيراً ، فعرف الصحابةُ أن عمر قد أسلم ففرحوا وراحوا يهنئون بعضهم بعضاً ، ويباركون إسلام عمر بن الخطاب .

وسرعان ما ذاعَ نبأ إسلام عمر فى مكة ، والناس في ذُهول . . وهم بين مُصَدِّق ومُكذب حتى قال بعضهم : أيُسلم عمر ؟! . . والله لايسلم حتى يُسْلم حمار الخطاب !

وكان عمرُ يتحدى بإسلامه أشرافَ قُريش ، فكان يخرج إلي الكعبة يطوف بها ، ثم يقف ـ على مَرْأي من القوم ـ يصلى لله جَهْرةً ، ويغيظ المشركين ، وحذا حَذْوه بعضُ المسلمين .

وشعر المسلمون بالعزة والقوة بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب، وعمر بن الخطاب فكان بعضهم يخرجُ للصلاة فى الكعبة، وقال بعض أصحاب النبى :

ـ إننا نصلى أمام قريش جَهْراً . . فمن منا يستطيعُ أن يُسمعهم القرآن جهراً ؟

قال عبد الله بن مسعود : أنا أفعل ذلك .

فقالوا : نخشى عليك أذاهم ، نريد رجلاً له عَشيرةٌ ومَنَعةٌ. فقد كان عبد الله بن مسعود ضاوياً ناحلاً قصير القامة .

فقال لهم : ذرونى . فإن الله سيمنعنى منهم .

وبات عبد الله بن مسعود يدعو الله أن يُعينه على تلاوة القرآن في الكعبة ، وأن يمنع عنه بأسَ القوم ، وفى الضُّحى جلس عبد الله بن مسعود مُسْتنداً إلى الكعبة ، وقريش فى أنديتها ، وراح يتلو بصوت عال سورة الرحمن :

﴿ الرَّحْمَنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الإنسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ .

فقال بعضهم فى دهشة : ما بال ابن أم عَبْد ؟!

قالوا : إنه يتلو ما جاء به محمد .

فقاموا إليه يضربون وجهه ، وهو مستمرٌ فى تلاوته ، حتى سالَ الدمُ منه وأغْشى عليه . وعندما عاد إلي أصحابه ورأوا ما هو عليه قالوا :

ـ هذا الذى خَشينا عليك منه .

قال : والله ما رأيتُ أعداءً أهونُ علىَّ مثل اليوم ، ولو شئتم

لأتيتهم بمثلها غداً .

قالوا : حَسْبُك . . قد أسْمعتم ما يكْرهون !

كان المسلمون يزداد عددهم يوما بعد يوم ، وغاظ قُريشاً دخولُ الناس فى الدين الجديد ، ومما غاظهم أكثر وأصابهم حُزْناً وهَمّاً دخول حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب فى هذا الدين وقد كانا من أكثر شُبَّان قريش فروسية وشجاعة وقوة ، فكانا للمسلمين حِصْناً وسَنَداً .

ومما زادَ قريشٌ غَيْظاً وقوف بنى عبد المطلب ، وبنى هاشم (آل النبى) بجانب النبى . من أسْلم منهم ومن لم يُسْلم ـ ودفاعهم عنه ، وحمايتهم له .

وذات يوم اجتمع زعماء قريش على رأسهم أبي جهل وأبى لهب فى دار الندوة واتفقوا على مقاطعة بنى عبد المطلب . وبنى هاشم ومن تبعهم من المسلمين ومحاصرتهم فى دُورهم وألا يبايعوهم ولا يتزوجون منهم ولا يزوجوهم وكتبوا ذلك فى صحيفة ، وتعاهدوا جميعاً على تنفيذ هذه الوثيقة ، وعلقوا تلك الصحيفة فى جوف الكعبة ، وانضم بنو هاشم إلي بنى عبد المطلب يناصرونهم ودخلوا فى شعْب أبى طالب ، وعاشوا فى حصَار اقتصادى واجتماعى وفي عُزلةَ قاسية مع أطفالهم ونسائهم ، لَا يتصل بهم أحدٌ ، ولا يتصلون بأحدٍ ، ومنعتْ عنهم قريشُ الطعامَ والشراب .

ومرَّتْ الأيام شديدةً قاسيةً ، ونفد ما كان عندهم من طعام ، وخَوَتْ بطونهم وبكى صغارهم جوعاً ، وراحوا يأكلون ما يجدونه من يابس العُشْب ، وورق الشجر .

وأحكَمتْ قريش حصَارها . فلم تترك طعاماً يدخل مكة حتى بادرتْ إلي شرائه بأضعَاف ثَمنه حتى لا يصل إلى أيدى المحاصرين ولا يستطيعون شراءه . . ولم يدخل إليهم الطعام إلا خُفْيةً من ذَوِى المُروءة ومن أسلموا على خوف من زعماء قريش .

وسخَّرت قريشٌ من يترصد أخبارهم حتى تتمكن من بنى هاشم وبنى المطلب وتجعلهم يتخلون عن رسول الله ، فيسلموه لهم فيقتلوه ، أو يتخلَّى الرسول عن دعوته وينفضُّ الناس من حوله . ويُقْضى على دعوته .

واستمر هذا الحصارُ ثلاثَ سنوات بلغَ بهم الإعياءُ مداَهُ ، وكان المُحاصَرون فى الشِّعْب لا يستطيعون الخروج منه إلا فى مَوْسم الحج وكان النبى يخرج إلي القبائل الوافدة للحج . ويدعوها إلى الإسلام .

وكانت قريش تُحاربه وتحذِّر الناس منه ، قائلة : لا تصدقوه . . إنه ساحرٌ . . إنه كاذبٌ . إنه شاعرٌ . . إنه مجنونٌ .

وذاعَ نبأ الحصار والقطيعةُ بين القبائل التى وَفدتْ إلى مكة للحج ، والناس يتساءلون عن سبب هذه المقاطعة المنكرةَ وعن خبر هذه الدعوة الجديدة .

وتمرُّ الأيامُ والمسلمون يزدادون على الشدَّة إيماناً وصَبْراً . . وأطلع الله رسوله الكريم على ما حدث للصحيفه المعلقة في الكعبة .

وذهب النبىُ إلي عمه أبى طالب وقال له : إن الله قد سلَّطَ الأرَضَة على الصحيفة التى كَتَبْتها قُريش فأكلتها ولم تترك فيها إلا اسم الله .

فقال أبو طالب : أرَبُّكَ أنبأكَ هذا ؟

قال النبى : نعم

فصاح أبو طالب : فلم نُحبْسَ إذن ؟!

وخرج أبو طالب إلَي أشراف قريش وقال لهم : إن ابن أخى أخبرنى ـ ولم يكْذبنى قطّ ـ أن الله قد سلط على صحيفتكم الأرَضةَ فلحستْ ما كان فيَها من ظُلم وقَطعية رَحم وبقى اسمُ الله ، فإن كان ابن أخى صادقاً نزعتم عن سوء رأيكم ، وإن كان كاذباً دفعته إليكم فقتلتموه أو استحييتموه .

قالوا : قد أنصفتنا .

وأرسلوا رجالاً إلي الكعبة فوجدوا الصحيفة ـ كما أُخْبروا ـ قد أكلتها الأرضَة ومزَّقتها إلا موضع اسمُ الله . فشعرتْ قريشَ بخزى وخَجل مما فعلته ببنى هاشم وبنى المطلب ، وانفكَّ الحصار ، وخرجَ رسول الله وقومه من الشعب ، وعادوا إلي حياتهم . واستمر النبىُ فى دعوته إلي الاسلام .

وتمت بحمد الله ،